الوظيفي . كما ورثت الادارة الاردنية الجزء الباقي من هذه الطبقة التي خرج منها الوزراء ورؤساء الدوائر وغير ذلك من الفعاليات الادارية . وربما أن هذا يجيب الى حد ما على السؤال المحير الذي كان دائما يقول : لماذا رزىء هذا الشعب النشيط الذكي دائما بزعماء من غير مستواه ؟! ولربما أنه لا مفر امامنا من الاعتقاد بأن حرمان الشعب العربي الفلسطيني من مؤسسات قومية ومن جامعة على الاخص لم يكن وليد الصدفة بل نتيجة تخطيط مدروس لبعثرته والقضاء عليه حتى لا يستطيع ان يطالب بحقوقه المسلوبة او ينافح دونها .

وبالرغم من جميع المخططات المدروسة لطمس كيان هذا الشعب وبعثرته ، فقد استطاع ان ينتج ادبا متميزا وفكرا وان ينهض في ثورة مسلحة في الوقت الذي ظن فيه الكثيرون انه قد انتهى وتبعثر وتلاشى . ولم يعد الان بيان دولي يخلو من الاعتراف بالشعب الفلسطيني ووجوده . ولعل ذلك ما يدفع هذا الكاتب الى الاعتقاد بأن العقبة السياسية التي كانت تحول دون انشاء جامعة فلسطينية قد باتت اخف وطئا الان عن ذي قبل وأن كانت ما تزال عقبة كبيرة . ومثلما ان المال والكتب والاساتذة لم تكن العقبة الرئيسية في الماضي فأن الامر لا يزال كذلك الان . ولكن العقبة الرئيسية الان هي اتفاق الرأي الفلسطيني ذاته حول هذه الجامعة المقترحة : فكرتها ، غايتها ، تكوينها ، وموقعها .

لقد طرحت فكرة الجامعة الفلسطينية في السنوات الاخيرة وعلى عدة مستويات . طرحت داخل صفوف الشعب الفلسطيني وخارج صفوفه . وقد تبلورت الافكار خلال الاشهر القليلة الماضية الى عدد من الدراسات . وكل تلك الدراسات مهمة ومفيدة . غير أن الافكار تتباين . فمنها ما يرى انشاء جامعة تكنولوجية للدراسات العليا . ومنها ما يرى انشاء كلية جامعية او معهد عال للمعلمين . ومنها ما يلح على انشاء جامعة متكاملة على غرار احسن الجامعات وارقاها . وفي رأي هذا الكاتب ان الافكار لا حد لها . ولا قدرة لاحد سوى الكومبيوتر على اعطاء الاشكال والاحجام والانواع التي يمكن ان تكون عليها الجامعات والمعاهد العليا . فاذا كان من يريد انشاء الجامعة فردا من الافراد ، فان شكلها ومضمونها وحجمها يتحدد بامكانات ذلك الفرد وغاياته ومزاجه . ولو ان طائفة من الطوائف تريد انشاء جامعة فان نوع تلك الجامعة وحجمها يتحددان ايضا بحاجات تلك الطائفة وامكاناتها وغاياتها . ولكن جامعة لشعب كالشعب الفلسطيني وفي مثل ظروفه فان احدا بمفرده او حتى فئة بمفردها لا تستطيع ان تقرر نوع تلك الجامعة وانما تقررها احتياجات الشعب وظروفه وامكاناته . هذا مبدأ لا بد من الاحتكام اليه لتوفير الكثير من الجدل وعدم اهدار الطاقات الفكرية في التمرينات الخيالية . ولربما ينحصر النقاش بعد ذلك في محاولة استكشاف احتياجات شعبنا في الحاضر والمستقبل على ضوء ظروفه وامكاناته .

ان حاجات شعبنا ليست حاجات مادية ووظيفية فقط وانما هنالك حاجات معنوية لا تقل اهمية عن كل احتياجاته . وتلك هي حاجته الى الحرية لاستكشاف مصيره وممارسة تقرير ذلك المصير . ويبدو لي ان أية جامعة فلسطينية ، محسوبة على الشعب الفلسطيني ، يجب الا تكون محصورة في تفريخ نمط واحد من الناس سواء اكانوا معلمين او مهندسين او تكنوقراطيين . وان اية محاولة من هذا القبيل انما تصدر عن احكام مسبقة على هذا الشعب . فاذا كان البعض يرون انشاء كلية للتربية مثلا على اعتبار ان هنالك حاجة ماسة في البلدان العربية للمدرسين وان بامكان الفلسطينيين ان يسدوا هذه الحاجة او قسما منها فانني ارى في ذلك حكما مسبقا على شعبنا يحدد له القيام بوظيفة معينة . وينسحب هذا القول نفسه على أية فكرة من هذا القبيل سواء اكانت الجامعة المقصودة كلية للتربية او كلية متخصصة للعلوم التكنولوجية . وليس الاعتراض على انشاء كلية للتربية او اية كلية متخصصة ولكن الاعتراض على أن تكون الجامعة التي تحمل اسم الشعب الفلسطيني محصورة ومقيدة بدور وظيفي معين .

ان من واجب الجامعة الفلسطينية ومن مبررات وجودها هو أن تكون قادرة على كسر الانماط والقوالب الفكرية التي خططت وفرضت على الشعب حينما لم يكن واعيا لابعادها . ولقد أصبحت هذه القوالب جزءا منا على مر الزمن وآن الاوان لان نعيد النظر فيها بوعي وان نستعيد اصالتنا الفكرية . ولربما ان طريقة نظرة بعضنا الى الجامعة ووظيفتها هو من آثار هذه القوالب .

الجامعة الفلسطينية يجب أن تكون جامعة حرة،